وإنك لعلى خلق عظيم

الخطبة الثالثة

البعثة

أيها الإخوة المسلمون عباد الله، ما زلنا على درب السيرة نسير، ولنهجه ﷺ نتبع، ومن سيرته نستخلص العبر والعظات، فكما علمنا عباد الله -رحمني الله وإياكم- أن سيرة محمد ﷺ ليست دربًا من دروب التسلية، ولا موضوعا للمناقشة، ولا ترانيم تتلى يوم مولده ويوم هجرته، وليست صلاة على الألسنة فقط كالجسد الميت ليست فيها روح الفهم والاتباع.

فهل مثل هذا عباد الله يكون حبًا؟

وهل الحب قراءة سيرته بلا وعي أو ترانيم ولا اتباع؟

ألا ما أرخص حب النبي ﷺ إذا كان كلامًا

وما أغلاه عندما يكون قدوةً وزمامًا

وبعد تحليل شخصية الحبيب المصطفى ﷺ نستطيع أن نقول:

كمال خُلُقي بجمال خِلقي في جلال نسبي مع حفظ إلهي

كان محمدًا النبي ﷺ

- هذا النبي ﷺ كان يتيما، وتوالت عليه أحداث حزينة جعلته للفقراء رقيقا، وللأيتام رفيقا، ولمن حوله صاحبًا وصديقًا.
- فرباه الله سبحانه وتعالى فكان كأنه قرآن يمشي على الأرض.
- وفي هذه الخطبة عباد الله نأخذ مقطوعة أخرى من حياة الرسول ﷺ، وفي

هذه المقطوعة ننتقي باقة عطرة من سيرته ﷺ، سوف نتكلم إن شاء المولى عن بعثته وما حول هذا الأمر.

ولو نظرنا في سيرة المصطفى ﷺ لنتكلم عن هذه الباقة العطرة؛ لوجدنا هذا الحديث مبينًا جوانب عالية من هذا الأمر، فهيا بنا ندرس هذا الحديث ونستفيد منه، فسوف ينبئنا إن شاء الله عما نريد، فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: (**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ**

حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ﷺ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟! قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ)[1].

فهذه قصة بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، والله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا؛ هيأ أسبابه حتى يظهر شيئا فشيئا.

فأول تلك الأسباب الرؤيا الصادقة، وهي جزء من أجزاء النبوة بالنسبة للمؤمن، نعم عباد الله، فقد كانت الرؤيا الصالحة بداية إشراق النبوة، فما زال النور يتسع حتى أشرقت شمس النبوة، وحبب إلى رسولنا ﷺ اعتزال أهل السوء من أجل العبادة والتقرب إلى الله عز وجل، كما قال الله تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣)، ومسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٠).

﴿ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٨ – ٤٩]، فكان النبي ﷺ يهجر مكة متجها إلى غار حراء على مسافة بضعة أميال من مكة في رأس الجبل، والتي ينقطع عندها عن لغو الناس وحديثهم الباطل، ففي هذا الغار كان محمد ﷺ يتعبد، ويصقل قلبه، وينقي روحه، ويقترب من الحق جهده، ويبتعد عن الباطل وسعه، حتى وصل من الصفاء إلى مرتبة عالية انعكست بها آشعة الغيوب على صفحته المجلوة، فأمسى لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح.

ولنا وقفة هنا عباد الله، وحق علينا أن نقف، لما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه المشركين كان الفتح على إبراهيم عليه السلام، وبشر بإسحاق ويعقوب، ولما هجر موسى عليه السلام قومه الظالمين؛ كان الفتح على موسى عليه السلام وكلمه ربه، ولما اعتزل الرسول ﷺ قومه الكافرين؛ صار نبيًا رسولًا، وهكذا نرى:

اعتزل إبراهيم عليه السلام فبشر بالولد

واعتزل موسى عليه السلام فكلمه الواحد الأحد

واعتزل محمد ﷺ فأصبح نبيًا إلى الأبد

نعم، فلو هجرت المعاصي وأهلها إلى الحق وأهله؛ لكان خيرًا لك.

ماذا عليك أيها المضيع لوقتك في المقهى مؤثمًا بمن لا يرى للوقت قيمة، ولا للصحة معنى، ولا للطاعة سبيلا؟!!

ماذا عليك لو اعتزلت هؤلاء إلى المساجد مع هؤلاء الصالحين الذين إذا سمعوا النداء كأن الدنيا كلها قد أظلمت ولم يلمع إلا طريق واحد هو الطريق إلى المسجد؟!! نعم، فتح من الله لو اعتزلت السوء.

ماذا عليك أيها الشاب الذي إذا نظرت إلى نفسك فوجدتك لهواك عابدًا، وللشيطان راكعًا وساجدًا، وللسيجارة ذليلا، وفي دينك مفرطًا وعليلًا؟!!

ماذا عليك لو اعتزلت هؤلاء الذين يجرونك إلى هذا المستنقع النجس واتجهت إلى القرآن وطهارته، والصلاح وعزته، واتجهت إلى المساجد وما يرضي الله جل وعلا؟!!

إن فعلنا ذلك عباد الله؛ نجد الفتح المبين، ولا تيأس وتقول: إني ضعيف، فأنت ضعيف لأنك في وسط الجو الذي يضعفك، أما إذا اعتزلت، وخرجت، واتجهت إلى بيئة تقويك؛ تقوى بإذن القوي القادر.

كذلك يقول المباركفوري: «**وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة طرفا من تدبير الله له، وليعده لما ينتظره من الأمر العظيم.**

ولا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى، لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة، وهموم الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة»[1].

[1] الرحيق المختوم (٥٥/١)، لصفي الرحمن المباركفوري.

وبعد ذلك عباد الله وبعد انقطاع الوحي[1] عن رسولنا ﷺ كان الفتح، وتقلصت ظلال الحيرة، وثبتت أعلام الحقيقة، وعرف رسولنا ﷺ أنه أضحى نبيا، ولكن بمعاناة ومشقة من رسولنا ﷺ حتى بلغ منه ﷺ الجهد، وقد سئل ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ: (**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ، قَالَتْ عَائِشَةُ** رضي الله عنها: **وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا**)[2].

وقال زيد ابن ثابت رضي الله عنه: (**أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ[3] فَخِذِي**)[4]، وقد يأتي أكثر من ذلك وأخف، ما هذا الجهد عباد الله؟! ولم هذه المرات الكثيرة؟! ألم يكن سبحانه وتعالى قادرًا أن يوحي إليه القرآن جملة واحدة مرة واحدة؟ بلى، ولكن لله سبحانه وتعالى الحكمة العليا، وإن نزول القرآن اتخذ هذه الطريقة أول الأمر قطعا لكل شبهة ليعلم أنه ألفاظ ومعاني من عند الله تعالى، فهو ليس افتعال عابد منقطع تخيل فخال، ولا صناعة فيلسوف يجيد سوق الأدلة وتنميق المقال، وإنما هو كلام الأحد الحق الكبير المتعال القائل: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥** ﴾ [النجم: ٤ – ٥]، وأيضا تثبيتا لقلب رسول الله ﷺ وإبطالًا

---

[1] قال أهل التاريخ: إن انقطاع الوحي ما بين نزول سورتي اقرأ والمدثر، وكان ثلاث سنين.

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢)، ومسلم رحمه الله في صحيحه (٢٣٣٣).

[3] الرض: الدق والكسر.

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٨٣٢).

لحجج الكافرين، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٢].

نعم أيها الإخوة المسلمون عباد الله، هذا هو قرآننا، وهذا هو رسولنا ﷺ، وهذا هو ديننا من ربنا ﷻ، فهنيئا لمن حفظ القرآن وفقهه، هنيئا لمن جعل القرآن له في الدنيا مؤنسا، وفي الآخرة شفيعا ومخلصا، أما من هجره وجعله زينة، أو حفظ ألفاظه ولم يدر ولم يعمل بمعناها فنقول له قول ربنا: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الفرقان: ٣٠]، لمثل هؤلاء نقول: اتقوا الله وأصلحوا أعمالكم، وكذلك علينا أن نتعلم معنى الجهد في الدعوة وفي العبادة، هذا أمر عباد الله علينا أن نستفيد منه، فإن للعبادة مشقة، وما هذه المشقة عباد الله إلا كرداء وساتر للذة عارمة، أو قشرة كقشرة البيضة باطنها فيه الخير، ولهذا فقد أُثِرَ عن الأجيال الفاضلة أن منهم من قال: (**أَحْسَنُ سَيْرِ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثٌ: إِكْرَامُ الضَّيْفِ، وَالصَّوْمُ فِي الصَّيْفِ، وَالضَّرْبُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالسَّيْفِ**)[1]، ومنهم من يفارق الدنيا وهو يتأسف؛ لأنه سوف يترك القيام والمزاحمة في دروس العلم.

أخي الحبيب، لا يحبطك الشيطان بسبب هذا الرداء الدقيق الذي يحمي تحته فتوحات من رب الأرض والسماوات.

[1] الأربعين في إرشاد السائرين (١٦٧/١)، للطائي رحمه الله.

انقطع الوحي عن النبي ﷺ أياما كما رجح من رجح من أهل العلم، وإن لله تعالى من وراء ذلك الاحتباس سر، فهو سبحانه المربي القادر، والمؤدب الحكيم، العليم بالنفوس وبواطنها، الخبير بالقلوب وتقلباتها، فإنه لما حصلت لرسول الله ﷺ روعة وخوف عند نزول الوحي، كان من الحكمة الإلهية أن يتركه بعد الدرس الأول حتى يهدأ روعه ويطمئن فؤاده، فإذا نسي وهدأ؛ سوف يتذكر لذة ذلك اللقاء، وتتذوق روحه نشوة تلك المقابلة، فيقوى قلبه، ويثبت فؤاده، ويتهيأ لقبول الرسالة، ويستعد لتلقي القول؛ لأن هذا القرآن ثقيل، قال الله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الحشر: ٢١]، ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[المزمل: ٥].

ثم ننهي هذا الحديث العظيم بزهرة أخرى من هذه الباقة العطرة بالقدوة الحسنة، برمز الوفاء، بسكن سيد الأنبياء ﷺ، مع من أول من صلت لله مع رسول الله ﷺ، وأول من بشرت بالجنة، مع من نزل إليها جبريل ليبلغها من ربها السلام، مع ينبوع الحنان، مع القلعة الشامخة، مع أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

فعندما أتكلم عن أمنا خديجة رضي الله عنها لا بد أن تتوارى الكلمات حياء وخجلًا من هذه المرأة الطاهرة، فقد لقبت بالطاهرة قبل الإسلام، نشأت في بيت الشرف والرخاء، وتزوجت برجلين قبل رسول الله ﷺ وماتا عنها، فلم

تتزوج حتى بلغت الأربعين عاما من عمرها، وكان رسول الله ﷺ يتاجر في أموالها عندما اختارته لما سمعت عنه من أمانة ووفاء فتزوجها رسول الله ﷺ، والسيدة خديجة رضي الله عنها مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات يحملون قلوبا شديدة الحساسية، نعم من أراد أن يدعو الناس، ويزيل عفونات المعاصي، ويبث في الناس الدين الإلهي والأخلاق الفاضلة؛ فسوف يلقى ظلمًا وضيقًا من هذا الواقع الذي يريد أن يغيره، ويقاسي جهدا كبيرًا في سبيل الخير، فمثل هؤلاء أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، هم أحوج ما يكونون إلى من يخفف عنهم الآلام، فلم يسمع منها رسول الله ﷺ شرًا قط، بل صدقته حين كذبه الناس، وآمنت به حين كفر الناس، وواسته بما تملك حين حرمه الناس، فملأت حياة النبي ﷺ فرحًا، وسرورًا، وحبورًا، واطمئنانًا، وأسلمت له مالها، وقلبها، وعقلها.

وما سمعتموه من الحديث الذي قلته آنفا من موقفها مع زوجها ﷺ خير دليل على ذلك، وكذلك تعليق ابن القيم رحمه الله الذي يقول فيه: (**اسْتَدَلَّتْ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يُخْزَى أَبَدًا**)[1].

والكل هو من لا يستقل بأمره، والكل من الكلال بمعنى الإعياء، ومعنى **تحمل الكل**: أي تنفق على الفقير، واليتيم، والعيال.

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد (١٧/٣)، لابن القيم رحمه الله.

تكسب المعدوم: الكسب هو الاستفادة، والمعنى الأول هو: تَكسب المال المعدوم وتصيب منه ما يعجز عنه غيرك، والعرب تفخر بهذا، والمعنى الثاني هو: تُكسب المال العظيم وتجود به على الأصناف المذكورة.

تعين على نوائب الحق: كلمة جامعة للمعاني المتقدمة في الحديث.

و لم تهدأ رضي الله عنها حتى ذهبت به إلى ورقة بن نوفل فبشره بالنبوة، وبهذا العقل وبهذه الفطرة بلغت رضي الله عنها الكمال، يقول رسول الله ﷺ: (**خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ** ﷺ**، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**)[1]، فماذا كان لها بعد كل هذا؟ هل لها الخير؟ وإن كان لها الخير، فمن بشرها به؟ اسمعوا عباد الله، واسمعن أيتها النساء المؤمنات جزاء طاعة الزوج وإدخال السرور والطمأنينة عليه، اسمعوا جزاء ذلك كله، فالجزاء من جنس العمل، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ؛ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**)[2].

الجزاء من جنس العمل، فكما أنها وفرت لبيت زوجها الراحة والطمأنينة؛ كان جزاء ذلك قصرًا في الجنة من قصب، أي من لؤلؤة مجوفة لا صخب فيه ولا نصب، أي فيه الهدوء والسكينة، فهل أيتها الأخت المسلمة الصالحة وعيت هذا

---

[1] أخرجه ابن حبان رحمه الله في صحيحه (١٨١٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٢٨).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٨٢٠)، ومسلم رحمه الله في صحيحه (٢٤٣٢).

الدرس العظيم؟! هل علمت ماذا يريد منك الشرع؟! فمراد الشرع أن تتبعي هذه القدوة الطاهرة، بينما يريد منك أعداء الله السقوط في مستنقع الخبث، فهؤلاء الساقطون قد شنوا حملة شرسة على المرأة المسلمة، قوى الكفر، والنفاق، والجهل، فالكفر ملة واحدة، اجتمعوا كلهم علينا، حشدوا كل الحشود؛ شرقيًا أو غربيًا، بيضا أو سودًا، أما السائق والقائد فمن اليهود، اجتمعوا عليكِ أنتِ، ولا بد أن تعرفي ذلك، أتدرين لِمَ كل هذا؟ لأنك أنت ركن الطهارة والعفة في الإسلام، فإن وقعتِ في مستنقع الرذيلة بأي شكل؛ فقد نالوا غرضهم، خدعوكِ بقولهم حسناء، بحرية المرأة، وثقافة المرأة، ووجود المرأة، ما علاقة هذه المعاني إذن بالعري، واللبس الصاخب، والألوان التي على الوجه، وظهور الصدر والشعر، هم ينفقون أموالهم وجهدهم حتى يوقعوكِ في هذا المستنقع، ولكن الله لهم بالمرصاد، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال: ٣٦]، يقول عدو الله: كأس وغانية يفعلان ما لا يفعله ألف مدفع، نعم صدق وهو كذوب، فاحفظِي نفسك أيتها الأخت المسلمة، واحفظها أنت أيها الأب، أيها الأخ، أيها الزوج، أيها الابن، احفظن أنفسكن وبيوتكن، وكنَّ في طاعة أزواجكن، واصبرن إن بدر منهم أي سوء، فاصبري على زوجك حتى تعينيه على طاعة الله.

وأنت كزوج أحسن المعاملة ولا تعن عليها قوى الشيطان والكفر، اصبروا عباد الله فإن الله مع الصابرين، إن الحياة الزوجية إن خلت منها المودة والرحمة؛ أصبحت كالجسد الميت، إن لم يدفن فاح عفنه ونتنه.

فاملئي حياة زوجك بالدفء والطمأنينة، واعلمي أن خراب هذه الأمة وما فيها من هوان؛ ذلك بسبب خراب بيوت المسلمين والبعد عن الله تعالى، وكرامة الأمة بتعمير هذه البيوت بطاعة الله سبحانه وتعالى.

وهكذا عباد الله نكتفي بهذه الباقة العطرة من هذه السيرة العظيمة التي نريد منها كما قلنا أن نكتسب منها إيمانًا، وأخلاقًا، وأعمالًا، لا نريدها موضوعًا للمناقشة، ولا قصصًا للتسلية، ولا دربًا من دروب الخيال، ولا ترانيم تتلى يوم مولده ويوم هجرته، وقراءة سيرته ﷺ بهذا الفهم يورث حبا زائفًا.

فما أرخص الحب إذا كان كلامًا، وما أغلاه عندما يكون قدوة وزمامًا

عباد الله إن المسلم الذي لا يعيش الرسول ﷺ في ضميره، ولا تتبعه بصيرته وفهمه وفكره؛ لا يغني عنه أبدًا أن يحرك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة.

اللهم صل على سيدنا محمد ما اتصلت العيون بالنظر

وتزخرفت الأرضون بالمطر

وصل عليه بعدد من حج واعتمر

ووقف بعرفة ولبى ونحر

وحلق وطاف بالبيت وقبل الحجر

اللهم صل وسلم وزد وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم